ما يقدّمه حكواتي دمشق

تأصيل المكارم العربية... سيرة عنترة إلياذة العرب

| منير كيال

قبل أن يُطل علينا المذياع والتلفزيون والوسائل الأخرى التي كانت تملأ فراغ الناس، كان الرجال يختلفون بسهراتهم إلى المقهى للاستماع إلى ما يحكيه لهم الحكواتي، أو لمشاهدة بابة (مسرحية) من بابات مسرح كركوز وعيواظ المعروف بمسرح الظلّ.

وإذا كانت الجوانب الملحمية تمثل جانباً من الثقافة الشعبية، فإن نفسية الإنسان العربي جُبلت على حب البطولة المتحفزة للشجاعة والإقدام، فقد كان الإنسان بمجتمعنا يؤثر متابعة القصص الشعبية التي يقدمها الحكواتي، ومن ذلك سيرة عنترة العبسي والظاهر بيبرس والملك سيف بن ذي يزن وكذلك الزير سالم وتغريبة بني هلال، على ما كان يلمّ بأبطال هذه السير من معاناة وعذابات وضنك، ذلك أن المتتبع لهذه السير يلحظ الدور الذي لعبته بالوجدان الشعبي حتى أواخر العقد الثالث من القرن العشرين، يوم كان الناس يبحثون عن قارئ رسالة بالحي بالسراج والفتيل كما يقولون.

وقد نشط القصاص الشعبي في صدر الإسلام والعصر الأموي، وكان ينقل للناس صور المغازي والفتوحات بأبدع حلّة وأروع الصور مما كان يتوافق مع الطباع العربية التي تقدّم الأخلاق الحميدة والفضائل على كل اعتبار، وكان مركز هذا القصاص الشعبي (الحكواتي) بتلك الحقبة ضمن المسجد أو الجامع عقب كل صلاة، ولمّا كثرت الأقاويل بشأنه أصبح يمارس نشاطه بالساحات العامة، والأماكن التي يجتمع بها الناس للاستماع إلى أقاصيص القصاص الشعبي عن أخبار الأبطال والفاتحين، ونوادر السلف، وغير ذلك من الأمور التي تثير اهتمام الناس وفضولهم.

وكان الحكواتي فيما يرويه يُلبس شخوصه بما يرويه، حتى لكأنه منهم، وخلال ذلك كان يقوم بالحركات والمؤثرات الصوتية اللازمة لخلق الجو المناسب، ليضمن حسن التلقي من مستمعيه، حتى لكأنه يقوم مقام فرقة مسرحية حركة وصوتاً وتعبيراً.

فهو في ذلك بمنزلة حافظة شعبية لتلك السيَر، ومهندس لعواطف مستمعيه وفق مقتضيات أحداث السيرة ومصائر أبطالها وشخوصها.

وتراه يركز على بث مكارم الأخلاق والسمات العربية الأصيلة بجمهوره من محبّة وكرم وحمية ومروءة وحفظ للذمم ورعاية للجار وينسب ذلك إلى أبطال السيرة الذين يحالفهم الحظ على مناوئيهم الذين يتصفون بالكذب والبخل والخيانة والغدر والرياء وغير ذلك من المفاسد التي يتصف بها الأشرار ويحرص الناس على النأي عنها، ويستقبحون أي سلوك من هذا القبيل وكان الجمهور يسمع ويرى ويتفاعل مع الحكواتي بالتصفيق تارة وبكلمات الإطراء تارة أخرى، والتعاطف مع أبطال السيرة بأحيان كثيرة، حتى لكأنهم يعيشون مصائر أبطال السيرة.

وكان الناس في اختلافهم إلى المقهى لسماع الحكواتي، يتخيرون الحكواتي الذي تتوافق براعته وسرعة بديهته وأسلوبه في الإلقاء والتعبير، وتصعيد حبكة الأحداث وحلها.. مع ما يتوافق مع مزاجهم، وهم في جلوسهم بالمقهى للاستماع إلى ما يقدمه الحكواتي، ينقسمون إلى فئة تؤيد البطل مناصرة له، وفئة تخالف ذلك الموقف، بل قد يبلغ الخلاف بين الفئتين إلى الملاسنة.

وكان الحكواتي يستغل هذه الظاهرة، فيصعّد الأحداث بالسيرة إلى أن يتوقف عند عقدة يكون بها البطل في حرج أو كربة، على أمل اللقاء بهم باليوم التالي، ليتابع لهم ما آل إليه البطل، فيهتاجون مطالبين الحكواتي بالاستمرار وتخليص البطل مما هو فيه.

وحدث أن الحكواتي توقف ذات مرة في موقف ترك فيه البطل بالسيرة يعاني مما هو فيه، وذلك من باب التشويق إلى اليوم التالي، فما هان على أنصار البطل ذلك، فكان أن قام أنصار البطل وقد هاجهم ذلك، لمطالبة الحكواتي بالعودة من بيته إلى المقهى ليفك بطلهم من المأزق الذي تركه فيه الحكواتي.

وفي واقعة عرس عنترة بالسيرة شاهدت بأم عيني، ما قام به أنصار عنترة من تزيين للمقهى احتفاء بذلك العرس.

وإذا كان من المألوف وجود حكواتي في معظم مقاهي مدينة دمشق حتى العقد الرابع بل أوائل العقد الخامس من القرن العشرين، فقد كان الحكواتي معروفاً بالبلاد العربية، وأخذ بكل من هذه البلاد صورة متشابهة، مع اختلافات طفيفة، فقد كان في القطر المصري على سبيل المثال، يعمل بمصاحبة العزف على الربابة، وفي تونس: كان الحكواتي يجلس على سدّة عالية ومعه عصا طويلة يرد بها على المتخاصمين والمتناحرين حول أبطال السيرة، ليحول دون اقتتالهم بشأن مصائر أبطال السيرة، وليدافع عن نفسه بتلك العصا حين تقتضي وقائع السيرة أن ينتصر بطل على بطل.

وكان الحكواتي لمّا شاهدناه في مطلع العقد السادس من القرن العشرين في مقهى بمدينة اللاذقية قريباً من ساحة الشيخ ضاهر يجول بين الحضور وهو يروي السيرة، وبيده خيزرانة يلوّح بها إلى هنا وهناك حسبما تقتضي أحداث السيرة فيضرب بالعصا على هذه الطاولة (المنضدة) أو تلك، وقد جلس حول تلك المنضدة الرواد.. وكان يحكي أحداث السيرة بأسلوب المحاكاة والتقليد والتجسيد، فيعطي كل شخصية من شخوص السيرة صوتاً وحركة ونبرة خطاب خاصة بها.

وفي دمشق كان الحكواتي يتخذ مكانه بصدر المقهى على سدة عالية مجللة بالسجاد ومزينة بأصص نبات ورق الصالون (الزريعة) وهو يقص على رواده السيرة التي تميز بها، أما أحب السير إلى جمهور دمشق فكانت سيرة عنترة، وتحكي هذه السيرة أحداثاً يحتمل أنها وقعت في شبه جزيرة العرب على مدى خمسمئة عام، وهي تصور ثأر القبائل العربية قبل الإسلام. وتعد سجلاً حافلاً لأحداث يستطيع المرء من خلالها التعرف إلى القبائل التي ورد ذكرها بالسيرة، وعاداتها وتقاليدها في الحرب، وتقسيم الغنائم، وحظ الحر وحظ العبد منها... فضلاً عما تقدمه السيرة من بطولات عنترة وأخلاقه وعلاقاته مع قبيلته وعذاله، واعتباره مثلاً للإقدام والفروسية والتضحية.. وقد لاقت هذه السيرة انتشاراً كبيراً في الوطن العربي وخارجه. وقد حفظ العامة من الناس أحداث هذه السيرة، فكانت قيمها الاجتماعية والأخلاقية كبيرة بكل بيئة عربية، فكان أن اعتبرها المستشرقون إلياذة العرب.

من هذه السير سيرة الملك الظاهر، وهي سيرة محببة لدى الجمهور من رواد الحكواتي تتقصى هذه السيرة أخبار الملك الظاهر بيبرس، وتجعل منه محوراً للأحداث المتعلقة بالدولة الأيوبية وعملها بل أيضاً دورها بتوحيد الصفوف، للوقوف بوجه الغزو الخارجي لبلاد العرب، كما تتحدث عن الفساد الداخلي بالمجتمع وهي تتوسع في قص أخبار الملك الصالح أيوب الذي استقدم الظاهر بيبرس. وتكثر بهذه السيرة الوقائع والأحداث التي تزدحم بالرجال والنساء.

كما كانت سيرة الملك سيف بن ذي يزن ترسم الوحدة العربية ممثلة بالبطل اليمني الملك سيف الذي حارب الأحباش لتحرير اليمن، ويرجع نشوء هذه السيرة إلى القرن الخامس عشر للميلاد، رغم أن أحداثها قبل ظهور الإسلام.

وفي الختام، لئن استطاع الحكواتي حتى أواسط القرن العشرين أن يعبر عن البطولة وينادي بالأخلاقيات، ويأتي بالأمثال والحكم والأشعار والأزجال، وأن يكون مصدراً مهماً من مصادر الثقافة الشعبية بين أناس لا يقرؤون ولا يكتبون، فقد أصبح في أيامنا هذه ونحن في مطلع الألفية الثالثة، وبعد انتشار وسائل الاتصال المقروءة والمرئية والمسموعة، من نشوة الماضي. ورحم الله أيام زمان.

ع الطالع والنازل!

أمام الإعلام والتلفزيون تحديداً..

| يكتبها: «عين»

مهمات، أم طموحات، أم تحديات؟

كان الوقت الذي مر بين تشكيل الحكومة الجديدة في سورية وتولي المدير العام للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون المهندس رامز ترجمان منصب وزير الإعلام وبين اللحظة التي ينبغي أن يباشر فيها المدير العام الجديد مهماته.. كان هذا الوقت كافيا لحوار جدي شامل ومفصل سمعنا جزءا منه بحكم علاقاتنا الجيدة مع الزملاء في الإذاعة والتلفزيون بل حتى في الصحف الرسمية!

في هذا الحوار، كانت المسائل تطرح بشفافية وجرأة، فأين نحن من دورنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهل كان الأداء الإعلامي يتصاعد في مسيرته؟ وإذا كان ثمة مشكلات في الإعلام، هل يكمن السبب في القرار والتوجه الإعلامي أم في الكادرات التي تعمل عليه؟وهكذا كانت الأسئلة تتوالد..

والغريب أن الحديث الذي اشتغل فيه الوسط الإعلامي حول تكليف المدير العام الجديد دخل في صلب هذه التساؤلات، باعتبار أن كل مرشح من الأسماء التي تم تبادلها جرى تقييمه على هذا الأساس، وظهرت المسائل الشخصية وتبادل الجميع الآراء حولها، وانحاز البعض إلى أداء البعض، وتمنى البعض أسماء محددة، وكان المهم أن جزءا من المعادلات التي كانت تطرح يتجه نحو قاعدة تقول:

لكي (ينجح) أداء الهيئة.. يجب أن يتولى فلان!

إذا كانت المسألة هكذا، فلا بأس من الحوار الذي جرى، وإذا كان الرفض والقبول يتعلق بالنجاح، فهذا مهم، وهنا مربض الفرس كما يقال: من يرد أن ينجح فأهلا به.. ومن يرد أن يعمل فالطريق مفتوح..

وتلك هي المسألة!

فاصل حلب!

اتصل أحد الصحفيين وسأل كونترول الفضائية السورية عن الفاصل الجميل الذي تم بثه عن حلب، فقيل له: هذا الفاصل للفنان سعد الحسيني، فقال حرفيا: طيب لماذا لا يتم إخراجه بطريقة تناسب النص والموسيقا؟! فرد الكونترول: أنا مادخلني!

عندما.. عندما!!

• عندما تسمع برنامج «قصة وفكرة وعبرة» الذي يعده ويقدمه عماد عجوب في إذاعة دمشق، تشعر أنه بالإمكان أن ينتج برنامج إذاعي ناضج في الإعداد والتقديم والإخراج.

• عندما ذهبت قناة دراما لتغطي حوارا دراميا، طلب الفنان عباس النوري من المصور بتهذيب إطفاء الكاميرا، و(عندما) توقفت الكاميرا عن التصوير انتقد أداء وزارة الثقافة، طيب شو فيها!

•عندما يسمع الضيف رأي المشاهد به يهتم أكثر في التحضير لظهوره على الشاشة، ألا يكفي هذا المشاهد مهزلة بعض، «لاحظ بعض» طواقم العمل التي تتحفنا كل يوم بما عندها!

• عندما تظهر برامج متشابهة على شاشات الأقنية السورية يسأل البعض: لماذا لا تنتج وتوزع في مكان واحد؟!

• عندما غابت صورة أستوديو برنامج «كلام الورق» وظهرت صورة غيرها، ظن البعض أنها نوع من لقطات الكواليس أثناء البث. وقال أحد الحضور: أنا لم أظهر.. لماذا؟

• عندما ينوي معد البرنامج في هذه الأيام صياغة النص اللازم للإعداد يكون قد بقي على العرض كم ساعة! هل هذه ثقة بالنفس؟

كلوزات.. لا داعي لها!

في برنامج صباحي ظهر على أحد الأقنية، ظهرت مذيعة جديدة جميلة وحضورها جيد ولا يتقصها شيء والحمد لله، وقد أضافت للبرنامج واسمه حلو الكلام صورة جديدة، ولكن: «احزروا» ماذا فعلوا لها؟ عرض لها المخرج في الحلقة سبعة أنواع من الكلوزات ومن كل الجهات! لماذا؟!

ماهر منصور من دبي!

أعلن الناقد ماهر منصور من دبي أنه سيقوم بخطوة جديدة تتعلق بالدراما التلفزيونية السورية، قوامها أنه سيقرأ النصوص التي ستنتج في رمضان القادم، ويقدم نقدا لها يصدر وهي تعرض مباشرة، وسريعا توالت عليه النصوص!

انتباه!!

عندما قرأت المذيعة حليمة حورية ما كتب في صفحتنا هذه عن مذيعة جريئة تناقش بحيوية وجرأة تجعل المحلل السياسي غير قادر على النوم، نشرت التعليق في صفحتها، ونسبته إلى نفسها. وهذا صحيح، ونتمنى من المذيعات اللواتي ينتقدن بمختلف أوجه الانتقاد أن يفعلن ذلك بروح رياضية!

برجك اليوم ٧/٢٦

نجلاء قباني

لا توصد بابك في وجه من يتكلم بالعكس اسمعه وحاوره واهتم بما يقال حولك واسمع بهدوء ولا تعلق بكلام متسرع، اسأل واستفسر عن كل أمر جديد يعرض عليك.

قد تناقش قضايا شخصية. دخولك في نقاشات يجعلك تجد حلولاً لمشاكل معلقة فالقمر موجود في بيت الاتصالات والأنشطة الرياضية والحماس والحركة والدعم.

تواجه اليوم دفع مستحقات مالية تهز استقرارك المادي لا تنزعج ولا تسرف فقد تحصل اليوم على ربح مادي أو تظهر مهارات إيجابية في كسب الأرباح.

تميل ميلاً مفاجئاً إلى مواقف غير معتادة أو وجوه جديدة وأناس تعرفهم حديثاً وتمتلك أفكاراً جيدة وتحتاج إلى حدة ذكائك لوضعها موضع التنفيذ وبالقدر الكافي من الهدوء.

قد لا تسير الأمور على طريقتك أو يتقاعس المحيط عن مساعدتك لا تثق بأي شخص أو تحن إلى شيء بالماضي تحاول جاهداً أن تستعيده أو تسمع الكثير من العتاب.

هناك دائماً وقت للحب وللتعارف وللعلاقات العامة وللسفر وللجديد وللأفراح واللقاءات فاليوم للعلاقات والتعارف والتحضيرات الإيجابية للأفراح ولاستقبال الضيوف وخاصة من سفر.

لا تسمح لفيض من الأفكار المدمرة أن تعترض طريقك ولا تسمح لحالتك العصبية أن تؤثر في تصرفاتك مع من تحب أو حتى مع محيطك العملي أو العائلي.

أيام جيدة وقد تستطيع فيها أن ترتب أمورك العملية بعيداً عن المشاكل لأنك ترفض أن تكون مكسر عصا لأحد ممن حولك بالعكس أنت تواجه من ضايقك وتقرر.

تأتي إلى عملك باكراً وتتحمل مسؤولياتك مؤمناً بما تفعل معتمداً على أصدقائك لأنهم يدعمون خبراتك ويمدحون أعمالك ويساعدونك على القفز باتجاه الأفضل.

تصبح محتاجاً لليونتك ولدبلوماسيتك، قد تضايقك بعض محاولات الإساءة إلى سمعتك فكن منتبهاً لأسرارك ولا تقلها لمن لا تثق لأنك قد تعاني ظلماً.

موجات الإحباط التي تنتابك سببها بحثك عن تغير أو عبر هدف قد تظنه بعيداً ولا تدع القلق يدخل إلى حياتك فيسبب لك تعباً ليس له مبرر وأبطئ إيقاعك ما استطعت.

أيام قد تحمل الفرح وتستدعي منك توضيحات لرفع مستوى الحوار والتأهب للدخول إلى جديد فأنت تتميز هذا اليوم بالمحبة والألفة والرغبة في التواصل والاتزان النشيط.

كلمات متقاطعة

أفقي:

١- وزير سوري راحل.
٢- من أدوات الطعام – عاصمة أوروبية.
٣- للمساحة (م) – شهر قمري – تنقل.
٤- أظهِر – رَبَط – أزوده (م).
٥- عدم معرفة (م) – عِز – ضمير منفصل (م).
٦- أحلام – حروف متشابهة.
٧- خاصتي – برّاق (م).
٨- كف – مسافات طويلة (م) – نوع موسيقي.
٩- مادة قابلة للاشتعال – نضرب منه السهام.
١٠- نيون (مبعثرة) – أدعم بالنقود.
١١- حرف عطف – فرّق – فحصه (م).
١٢- ضمير منفصل – شرايين (م) – نصب نبال.

عمودي:

١- ممثل مصري – متشابهان.
٢- عناد – من الحروف.
٣- نصف أعرف – كذاب – نصف غوار.
٤- مركزي – مدينة أوروبية.
٥- أكثر ضرورة – نصف جائر – صوت الرصاص.
٦- ضياع – نصف عقيق.
٧- من الحيوانات – رتبة عسكرية.
٨- مساعدة – حروف متشابهة – قِط.
٩- بحر – شجاع – قابل بوضعه.
١٠- مطربة لبنانية.
١١- والدة – مدينة مصرية.
١٢- ممثلة مصرية – زوج (م).

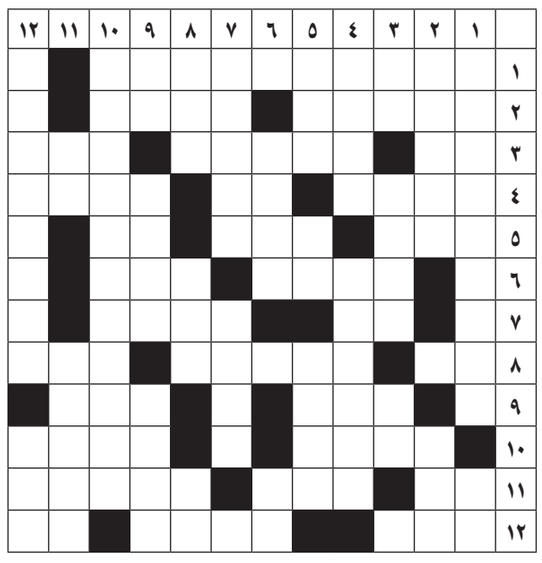

الحل السابق:

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢
١	ع	م	ر	ا	ب	و	ر	ي	ش	هـ	■	ح
٢	ل	ط	ر	■	ر	ق	ب	هـ	■	و	ل	د
٣	و	ا	■	ط	■	■	ع	ي	ا	ل	ي	■
٤	ي	م	ت	ن	ع	■	ا	م	ا	ن	■	م
٥	هـ	ع	م	ج	ل	ا	■	■	ا	د	م	ر
٦	ص	■	ا	هـ	ا	ت	■	ر	■	ا	ل	ح
٧	ب	■	م	■	م	ع	ر	ف	هـ	■	ع	ج
٨	ح	ب	■	ز	هـ	ا	■	ا	■	ب	ب	ب
٩	■	ل	ي	ل	■	ل	م	هـ	م	■	■	ر
١٠	ج	ب	ل	■	م	ا	ح	■	هـ	ر	ب	■
١١	م	ل	ح	■	ل	■	ل	ب	ن	ا	ن	■
١٢	ل	■	ق	ر	ا	ب	هـ	■	هـ	■	ا	م

كلمة السر

د	ي	ع	و	ع	ب	و	ر	ا	ا	ن	ا
م	س	ن	ة	ك	ن	ت	ز	ل	ل	ي	ل
ي	ب	و	م	ا	ز	ل	ت	ش	س	ر	ع
ل	ا	ت	ا	ي	ن	ع	و	م	ن	ع	م
ا	ن	ح	ل	ا	ل	ا	م	ع	ي	ش	ر
د	ق	ا	ك	ة	ك	ن	ا	ا	ن	ت	د
ك	ض	و	ث	ر	م	ت	ز	ت	د	د	ع
ي	ا	ل	ي	ي	ا	ق	ا	ك	ك	ي	ل
د	ء	ي	ر	غ	م	ا	ل	ن	ل	س	ل
ع	ن	ن	ز	ص	ا	ل	ي	ا	ذ	ح	ق
ب	ب	س	ر	ع	ة	ا	د	ب	ب	ت	ا
ا	خ	ر	ى	ا	ن	ا	ل	ي	ك	ي	ف

كلمة السر مؤلفة من ١٣ حرفاً: لاعب كرة قدم من أصل عربي.

(سنة بعد أخرى أقلل عدد الشمعات في عيد ميلادك... كيلا تحسي بانقضاء السنين... وعبور العمر بسرعة... كنت تشعرين بذلك... وتحاولين الاقتناع بأنك ما زلت صغيرة.. وما زال أمامك الكثير...)

SUDOKU

		8		4		7		
9				3				6
	7		5	6				8
6			3	5			9	
		1		7		4		
	5		4					1
7				9	3		8	
3				1				9
		2		8		1		

تتألف اللعبة من تسعة مربعات كبيرة داخل كل منها تسعة مربعات صغيرة، يجب ملء المربعات الصغيرة بالأرقام على ألا يتكرر الرقم أكثر من مرة في كل مربع كبير وفي كل خط عمودي وأفقي.

الحل السابق:

6	2	9	8	5	1	7	4	3
5	8	3	9	7	4	1	2	6
4	1	7	6	2	3	5	8	9
8	9	1	4	6	7	3	5	2
3	4	2	5	1	9	6	7	8
7	5	6	2	3	8	9	1	4
9	7	8	1	4	6	2	3	5
1	6	5	3	8	2	4	9	7
2	3	4	7	9	5	8	6	1

الطقس

	اليوم	غداً
دمشق	٣٩°/٢٣°	٣٨°/٢٢°
حمص	٣٣°/٢٣°	٣٣°/٢٢°
حلب	٣٧°/٢٤°	٣٦°/٢٣°
اللاذقية	٣١°/٢٥°	٣١°/٢٥°
السويداء	٣٢°/٢١°	٣١°/٢٠°
الحسكة	٤٣°/٢٥°	٤٣°/٢٥°

من هو؟

فنانة سورية، إذا جمعت الأحرف:

٦ + ٢: عملة أجنبية
٤ + ٥: شهر ميلادي
١ + ٧ + ٣: قبول

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧

الحل السابق: تاج حيدر.